تيسير العلوم النافعة

العقيــــدة

إعداد

د. سعد عطية فياض

تقديم

فضيلة الشيخ
محمد حسان

فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٤٩٥٤

الطبعة الثالثة

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧ م

دار الأبرار

المنصورة - ٥ شارع الهادي - عزبة عقل - أمام المرور

هاتف : ٠١٠٤٠٤٥٩٢٨

تقديم الشيخ/ محمد حسان ـ حفظه الله ـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد

فالأولاد هبةٌ عظيمةٌ من الله للإنسان. يسعد الفؤاد بمشاهدتهم. وتقر العين برؤيتهم ، وتستريح النفس بحديثهم فهم زهرة وزينة الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١) ، وهم مستقبلُ الأمة بإذن الله جل وعلا.

ولا يخفى على أحد أنه في ظل هذا الواقع الأليم يعيش الناشئ المسلم ويُربى في ظل حملة هائلة من المتناقضات والأزمات والمشكلات الهائلة،بكثرة الفتن من ناحية وبكثرة الأعداء المتربصين ممن لا يريدون لأجيالنا أن تتربى في ظلال الإسلام على القرآن والسنة من ناحية أخرى !!

فالناشئ المسلم اليوم لم يعد وحيداً حراً في الثبات على عقيدته وعبادته وأخلاقه وقيمه. وإنما يُنازع هذه الحرية بشكل أو بآخر.ربما في البيت أو في المدرسة أو في الشارع أو في وسائل الإعلام!!

فترى الناشئ المسلم نفسه في كثير من الأحيان مسوقاً إلى عقيدة زائفة وافدة وإلى مبادئ هدَّامة مدمرة وإلى أخلاق فاسدة وإلى قيم ضارة لحاضرهِ ومستقبله فكيف يستطيع أن يختار بحرية وسط هذا الزخم الضاغط العنيف الذي يدعو ويدندن على رفض الدين كمنهج شامل للحياة !

من أجل ذلك فإن قضية التربية قضية خطيرة كبيرة وهي مسئولية الجميع ابتداءً من الأسرة ومروراً بالمدرسة والمساجد والنوادي ودور الثقافة ووسائل الإعلام والشارع والصحبة.

---

(١) [الكهف : ٤٦].

إنها أمانة ثقيلة سنُسأل عنها جميعاً بين يدي الله جل وعلا ،قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾(١)

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ،والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ،والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته)) . قال: وحسبت أن قد قال : ((والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته)).

وهذه محاولة جادة على هذا الطريق . وغرس مبارك في هذه الأرض يريدُ به أخونا الفاضل الكريم/ سعد فياض حفظه الله أن ينال به الأجر من الله عز وجل وشرف البناء بأمانة في هذا الصرح الشامخ – صرح التربية – اطلعت عليها فوجدتها سهلة ميسرة على أولادنا وزانها التحقيق والتدقيق وزاد جمالها أنها ضمت التفسير والحديث والعقيدة والفقه والسيرة.

أوصي إخواننا جميعا بالحرص عليها وتعليمها لأولادهم بصورة منهجية ، والله أسأل أن يجزي أخانا خير الجزاء وأن ينفع بها وأن يزرقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل. ﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٢).

كتبه

أبو أحمد /**محمد حسان**

---

(١) [التحر : ٦].

(٢) [الفرقان : ٧٤].

تقديم الشيخ/ **مصطفى بن العدوي** ـ حفظه الله ـ
للطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

فقد أعطاني أخي في الله / سعد فياض حفظه الله تعالى ،كتابه في (**العقيدة**) من كتابه (**تيسير العلوم النافعة**) للنظر فيه ،ورأيته قد اعتمد تصحيحات الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة ،فعهدت إلى أخوين كريمين بالنظر في مطابقة نقولاته لما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله من أحكام على الأحاديث فألفوه جزاه الله خيراً أميناً فيما نقل ،فالله أسأل أن يبار فيه وأن يوفق مساعيه ،وأن يعيننا وإياه على طلب العلم والدعوة إلى الله ، وصل اللهم على نبيينا محمد ﷺ

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله / **مصطفى العدوي**

٥ ذ الحجة ١٤٢٧ هـ

تقديم الشيخ/ **مصطفى بن العدوي** ـ حفظه الله ـ
للطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله ﷺ

وبعد

فهذه مجموعة من الدروس العلمية تتعلق بمسائل من مسائل التوحيد والإيمان، وأبواب من الفقه والسيرة والرقاق.

جمعها أخي في الله /سعد فياض حفظه الله – تعالى - ، وقد ألقيت عليها نظرة عامة فألفيتها نافعة ومفيدة فجزاه الله خيراً، والله أسأل أن ينفع بها وبكتابه المسلمين، وأن يجعل ذلك في موازين أعماله، وأن يوفقه لمواصلة طلب العلم خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو عبد الله / **مصطفى العدوي**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد، فهذه بفضل الله تعالى الطبعة الثانية من (**تيسير العلوم النافعة**) ، ولقد كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بعنوان (اعلم يا غلام – حفظك الله -) إذ كانت معدة لتكون منهجاً علمياً لمعهد براعم التوحيد الذي شرفني الله عز وجل بالتدريس فيه ، ولقد تشرفت بإطلاع الشيخ محمد حسان ، و الشيخ مصطفى العدوي على الطبعتين حفظهما الله عليها وتقديمهم لهما .

وفي هذه الطبعة تغير عنوان الكتاب لكي يكون مناسباً لكل مسلمٍ يريد طلب العلم الشرعي ، وأضفت كثيراً من الشروح وما يوافقها من كلام السلف وأهل العلم وأثريت الكتاب بعدد من المسائل والنقولات النافعة ، ورأيت ذلك أبرك وأضبط وأنفع للقاريء ، وقمت كذلك بتخريج الأحاديث التي لم تكن قد خُرِّجت في الطبعة الأولى ، وما كان في صحيح البخاري وصحيح مسلم اكتفيت بذلك ، وما كان في غيرها عزوته لمصدره فإن كان في أحد كتب السنن الأربعة اكتفيت بذلك غالباً،ونقلت حكم أهل العلم عليه ؛ خاصةً الألباني رحمه الله.وقد أخرجتُ هذه الطبعة مقسمة وجعلت المراجع كاملةً في الجزء الأخير

هذا وأسأل الله رب العرش العظيم أن يتقبل مني ما أصبت فيه ، ويتجاوز عن زللي وتقصيري وعيبي ، ويهديني إلى ما يحبه ويرضاه ،ويصرفني عما لا ينفعني في الدنيا والآخرة، وهو سبحانه المقصد وإليه الملجأ وعليه التكلان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه / **سعد عطية فياض**

الدرس الأول

الإيمـــان بالله

أشرف العلوم

اسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتُلى صبر وإذا أذنب استغفر ، فإن هؤلاء الثلاثة عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمي عبادة إلا مع الإيمان بالله، كما أن الصلاة لا تسمي صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة ،وبين يديك هذا المنهج الذي يوضح لك – بإذن الله وفضله– الإيمان بالله وما يناقضه ، ونبدأ – إن شاء الله تعالى - بالحديث عن أهمية الإيمان بالله ،وما يترتب على صحته من ثمرات نافعة لصاحبه في الدنيا والآخرة.

١ الإيمان بالله هو الفطرة:

– فقد فطر الله عباده على الإيمان به وأخذ عليهم الميثاق بذلك في ظهر أبيهم آدم، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليذكروهم بالميثاق الأول ويردوهم إلى

---

(١) [الذاريات : ٥٦].

ما فطروا عليه ، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] و(فطرة الله) الإسلام ، بإجماع أهل العلم بالتأويل.

- وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[2].

- وقال ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة ﷺ اقرءوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[3]

- وعن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فكان مما قال: « إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ..»[4].

---

(١) [الروم : ٣٠].
(٢) [الأعراف : [١٧٢-١٧٣].
(٣) متفق عليه ، رواه البخاري ح ١٣٥٩ ، ومسلم ح ٦٦٩٩
(٤) رواه مسلم ح ٧١٣٦

- وكما أن الأصل في فطرة الناس الإيمان بالله فهو أيضاً الأصل في تاريخ البشر ، فآدم عليه السلام – أبو البشر – وبنوه كانوا على الإيمان بالله والتوحيد ، قال ابن عباس : (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) [(١)].
- قال ابن القيم: (وهذا القول هو الصواب قطعاً، فإن قراءة أبي بن كعب – يعني آية البقرة – ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[(٢)])[(٣)] ، ويشهد لذلك قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ [(٤)]
- وهذا يمنح المؤمن نسباً رفيعاً متصلاً بكل الأنبياء والمؤمنين، إلى آدم عليه السلام، ويمنحه ثقةً وثباتاً إذ هو الامتداد الصحيح للوجود البشري ، وما الكفر وأهله إلا مرض طارئ دخيل يفسد على البشر خط حياتهم الأصيل.

٢ الإيمان بالله هو أشرف العلوم:

- وكما أن الإيمان بالله هو الأصل في الفطرة والأصل في تاريخ البشر فهو كذلك الأصل في العلوم فجميع العلوم خادمة للإيمان بالله ،هو فوق ذلك أشرف العلوم وأولاها بالاهتمام والدراسة ،ذلك أن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم الإيمان أشرف العلوم لتعلقه بمعرفة الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة والكفر بكل ما يعبد من دونه مع ما يقتضيه من فعل الخيرات وترك المنكرات.

---

(١) أخرجه ا اكم ا ستدرك ح ٣٦٥٤ و٤٠٠٩،وصححه ، ووافقه الذه .
(٢) البقرة [٢١٣]
(٣) إغاثة اللهفان (١٠٢/٢).
(٤) [يونس : ١٩].

- والعلوم المتعلقة بالإيمان بالله هي – كذلك – أهم العلوم ، لأن أهمية العلم تتناسب مع ما يجلبه من خير أو يدفعه من شر.

- وعلم الإيمان تتحقق بسببه الحياة الطيبة في الدنيا، ونعيم الخلد وجنة الأبد في الآخرة، وهو كذلك يدفع عن الإنسان ضنك المعيشة في الدنيا والعذاب في الآخرة، فهو جالبٌ لأفضل الخيرات ودافعٌ للشر بصوره قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١)

- وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٢).

٣ ثمرات الإيمان بالله :

- وعنا نستعرض – أخي في الله – عدداً آخر من ثمرات الإيمان اليانعة ،وإني أدعوك – رحمك الله – إلى تأمل هذه المعاني الجليلة في هذه الآيات العظيمة:

- لقد وعد الله عباده المؤمنين بالحياة الطيبة فقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

---

(١) [النحل : ٩٧].
(٢) [طه : ١٢٣].

بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

- ووعدهم بالهداية فقال ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٢)]

- ووعدهم بالعزة فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)].

- ووعدهم بالتمكين فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[(٤)].

- ووعدهم بالنصر والدفاع عنهم وألا يجعل للكافرين علي المؤمنين سبيلاً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[(٥)]،**وقال:** ﴿ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٦)]، **وقال:** ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[(٧)].

- هذا بعض ما وعد الله به المؤمنين في الدنيا، أما في الآخرة فحسبهم قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا

---

(١) [النحل : ٩٧].
(٢) [ا ج : ٥٤].
(٣) [ا نافقون: ٨].
(٤) [النور : ٥٥].
(٥) [ا ج : ٣٨].
(٦) [الروم : ٤٧].
(٧) [النساء : ١٤١].

سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

- وإذا كان واقع المسلمين اليوم لم تتحق فيها هذه الوعود فإن سبب ذلك ما أصاب إيمانهم من ضعف وما شاب اعتقاد كثير منهم من خلل، وإن استمرار هذا الضعف ينذر بكارثة مروعة فقد يخسر أصحابه ما وعد الله به المؤمنين في الآخر كما خسروا ما وُعِدُوا به في الدنيا.

٤ الإيمان بالله يتضمن:

أولاً : الإيمان بوجوده تعالى.

ثانياً: الإيمان بوحدانيته تعالى، وتوحيد الله تعالى ثلاثة أنواع(٢):

[١] الإيمان بربوبيته.

[٢] الإيمان بأسمائه وصفاته

(ويطلق بعض أهل العلم عليهما توحيد المعرفة والإثبات).

[٣] الإيمان بألوهيته (ويطلق عليه البعض توحيد القصد والطلب).

---

(١) [يونس : ٩-١٠].

(٢) وقد يتساءل البعض كيف عرفنا أن التوحيد هو هذه الأقسام الثلاثة فقط؟! والإجابة: أن هذا عرف بالاستقراء، يقول الشيخ مد الأم الشنقيطي:(وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد ا ينقسم إ ثلاثة أقسام: الأول: **توحيده ربوبيته ،وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء،قال ا تعا : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن ا فأ يؤفكون).** الثاني: **توحيده جل علاه عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد، قيق مع (لا إله إلا ا) وهي مركبة من نفي وإثبات، فمع النفي: خلع يع أنواع ا عبودات غ ا يع أنواع ا عاملات... ومع الإثبات:إفراد ا جل وعلا وحده ميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله – عليهم السلام - ...**
والنوع الثالث: **توحيده جل وعلا أ ائه وصفاته).[راجع أضواء البيان : ٣/٤١٠-٤١٤].**

الدرس الثاني

الإيمان بوجود الله عز وجل

إن الأدلة على وجود الله عدد مخلوقاته سبحانه، فكل ما خلقه الله في السماوات والأرض يحمل بذاته أبلغ الأدلة على وجود الله بدءاً من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، فهو أمر مركوز في الفطرة عبر التاريخ ودلالة الخلق على الحق نتناولها من خلال عناصر:

١- دلالة الفطرة. ٢- دلالة الآيات الكونية. ٣- دلالة الحس.

٤- دلالة إجماع الأمم. ٥- دلالة العقل.

١ دلالة الفطرة:

- وهي ذلك الشعور الغامر الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه إقراراً بخالقه وتألهاً به والتجاءً إليه لا يستطيع دفعه ولا يملك رده. قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).
- وهذه المعرفة الفطرية محض هبة من الله لعباده ليست من صنع حجة أو قياس، قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢)، لذا قال أحد السلف: (عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي).

(١) [إبراهيم: ١٠].

(٢) متفق عليه،سبق ر ه

- وبهذه المعرفة الفطرية طابت نفوس السلف وقرت عيونهم وقنعوا بها عن أقيسة المتكلمين حتى قيل لأحدهم (إن فلاناً من علماء الكلام قد أقام على وجود الله ألف دليل،فقال:لأن في نفسه شبهة)،وقيل لابن عباس ﷺ : (بم عرفت ربك؟ فقال : من طلب دينه بالقياس لم يزل دهره في التباس خارجاً عن المنهاج ظاعناً في الاعوجاج، عرفته بما عرف به نفسه ووصفته بما وصف به نفسه).
- ولو حجب هذا الشعور حالة من الرخاء والعافية فسرعان ما تتهاوى تحت مطارق الشدائد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).
- بل حتى أعتي الملاحدة وأغلظ الكافرين لم يستطيعوا دفع هذه الحقيقة عن أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾(٢) ولذا قال موسى ﷺ لفرعون فيما يحكيه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾(٣).

٢ دلالة الآيات الكونية:

- إن المتأمل في هذا الكون يجد فيه أربعة أدلة تهديه إلى الإيمان بالله هي الخلق والتسوية والتقدير والهداية وهي مجتمعة في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ

---

(١)[يونس : ١٢].
(٢)[النمل : ١٤].
(٣)[الإسراء : ١٠٢].

ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[1]،وقال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام وهو في مقام التعريف بربه : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2].

وسنتناول كل دليل – إن شاء الله - ببعض الشرح :

الدليل الأول : الخلق:

- وهو من أبين الأدلة وأظهرها فكيف يوجد خلق بدون خالق؟! وكيف تحدث أفعال لا فاعل لها، وذلك ما صاغه القرآن الكريم بأوجز وأقوى عبارة وأبلغها ، فقال تعالى : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[3].
- وقد روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (سمعت رسول الله ﷺ قام يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ كاد قلبي أن يطير)[4]، وإنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية، كما قال الخطابي : (لحسن تلقيه معني الآية ومعرفته بما تضمنته من بليغ الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، واستشف معناها بزكي فهمه).
- فهي الحقيقة التي لا مناص عنها، والحجة الملجمة لأفواههم فإن هم لم يؤمنوا بالله فلا احتمال غير أن يكون الخلق بلا خالق، وإما أن يكونوا هم الذين

---

(١)[الأعلى : ٣].
(٢) [طه : ٥٠].
(٣) [الطور : ٣٦].
(٤) رواه البخاري ،سورة الطور،ح ٤٥٧٣،ط. دار ابن كثير –اليمامة-بيروت-ط.الثالثة-١٤٠٧/١٩٨٧

خلقوا أنفسهم ، فإذا كانوا خلقوا أنفسهم فماذا عن المخلوقات التي وجدت قبلهم هل هم أيضاً خلقوها ؟!! إنها الاحتمالات التي لا يستطيعون إثباتها بالأوهام فضلاً عن الحقائق، فلا يبقي لهم إلا الإيمان بالله رب العالمين.

- لقد أدرك البدوي هذه الحقيقة البسيطة فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فماذا تدل عليه سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج؟ ألا تدل على أنها صنعت بتدبير العزيز العليم؟.

- ولقد دعا القرآن الكريم البشر أن ينظروا ويتدبروا في الخلق ليستيقن المرتابون ويزداد الذين آمنا إيماناً، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ

يَهْتَدُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... وكيف يجحده الجاحد؟
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

الدليل الثاني: التسوية:

– وهو ذلك الإتقان والإحسان والإكمال لكل الخلق ليكون كل منهم مهيئاً لأداء وظيفته ويكون مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينها تفاوت يخل بالمقصود.

---

(١) [النمل : ١٠ – ١٧].
(٢) [الروم : ١٧ – ٢٤].

- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴾(١).

- وقال تعالى : ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾(٢).

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَـٰوَٲتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾(٣).

- وقال تعالى مذكراً البشر بمراحل خلقهم وإتقان ذلك الخلق وتسويته:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَـٰهُ نُطۡفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَـٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَـٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٲلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآٮِٕقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَـٰفِلِينَ ﴾(٤).

- انظر وتأمل إلى الأنف كيف أحكم خلقه ليتناسب مع وظيفته فنصفه الأعلى عظمي، والنصف السفلي غضروفي، فالعظم يبقي الثقبين في أعلى الأنف مفتوحين دائماً، والغضروفي يسهل إزالة المخاط، وكذا جدار الأنف المائل حتى يساعد على اصطدام الهواء بالمخاط المبطن له فتلتصق الجراثيم به والأتربة، ويدخل الهواء بعد ذلك نقياً مرطباً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

(١) [السجدة : ٧].
(٢) [النمل : ٨٨].
(٣) [الملك : ٣].
(٤) [المؤمنون : ١٢ - ١٧].

- والعين التي تتسع وتضيق حدقتها للتحكم في كمية الضوء، وكذا الشبكية التي تتكون إحدى طبقاتها من ملايين الأعواد والمخروطات في تناسب محكم لتمييز الألوان.
- ومن ذلك البومة التي خلقها الله تعيش في الظلام والليل فسواها تستطيع رؤية الأشعة تحت الحمراء فترى الفأر في الظلام، وعلى عكسها النحل الذي يعيش في الجبال التي أحياناً تحجبها السحب فسواها الله تستطيع رؤية الأشعة فوق البنفسجية لأنها الأشعة الوحيدة التي تخترق السحب فتستطيع رؤية الحقول فلا تموت جوعاً إذا اختفت الشمس خلف الغمام.
- وكذا الإبل التي هُيأت لأداء وظيفتها فمثلاً لها رقبة طويلة تنأى بالعيون عن غبار الرمال وسناماً يختزن الدهن، ورجله تنتهي بخف لا بحافر فلا تغوص في الرمال ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾(١)، وغير ذلك كثير ألا يدل كل ذلك على وجود الله وعلمه وقدرته وإرادته وحكمته سبحانه ؟!!.

الدليل الثالث : التقدير:

- وهو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه ويتناسب مع غيره من الموجودات القريبة والبعيدة.
- فإذا كانت التسوية إعطاء كل شيء من الخالق ما يؤدي به وظيفته فالتقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع ولا يضر غيره.
- قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ﴾(٢)، ﴿ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ

---

(١) [الغاشية : ١٧].
(٢) [الفرقان : ٢].

شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(١)، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٢)،﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٣).

- فالشمس لو أعطت نصف إشعاعها الحالي لتجمدت الحياة ولو تضاعف لكنا رماداً منذ زمان بعيد.
- والقمر لو كان يبعد عنا ٢٠.٠٠٠ ميلاً لوصل المد إلى درجة من القوة بحيث يغمر الأرض كلها مرتين يومياً ولأزال الجبال من مواقعها.
- ولو كانت مياه المحيطات حلوة لتعفنت وتعذرت الحياة على الأرض فالملح فيها يمنع التعفن والفساد.
- وماذا لو لم يحدث الموت؟ قالوا لو أن ذبابتين توالدتا هما وأولادهما دون موت فبعد خمس سنوات تتشكل طبقة من الذباب حول الأرض ارتفاعها ٥سم، وهذا جنس واحد، فكيف لو كانت الحياة كلها هكذا.
- ومنه التناسق والتبادل المشترك بين الحيوانات والنباتات في امتصاص الأكسجين وإنتاجه، ومثل ذلك تقدير الليل والنهار، ولولاها ما استقامت الحياة، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ

---

(١) [الطلاق : ٣].

(٢) [ا خر : ٢١].

(٣) [ا ؤمنون : ١٨ - ١٩].

أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

- ألا يدل كل ذلك وغيره كثير على وجود العليم الحكيم الذي يدبر الأمر كله؟! بلي ونحن على ذلك من الشاهدين.

الدليل الرابع : الهداية:

- ويقصد به أن كل خلق من مخلوقات الله قد ألهم غاية وجوده، وهدىً إلى ما خُلق من أجله فهو الإلهام الفطري الذي تتوجه المخلوقات به لأداء دورها.
- قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2].
- وتأمل معي – هداك الله لما يحبه ويرضاه – إلى النمل ذكر ابن القيم في شفاء العليل أن النمل يرعي حشرة المن (قمل النبات) فيجمع بيضها ويرعاه،ثم يطعم الصغار بعد ذلك حتى تكبر فتدر سائلاً حلواً كالعسل فمن هداه لهذا ؟
- بل انظر إلى عالم النبات كيف تضع البذور المختلفة الأنواع في التربة الواحدة، والهواء الواحد، والماء الواحد، والضوء الواحد، فتأخذ كل بذرة من هذه الأشياء المقادير المناسبة لها بنسب محددة ومقادير معلومة، فسبحان الله العظيم القائل : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ

---

(١) [القصص : ٧١ - ٧٣].
(٢) [طه : ٥٠].

صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١).

- وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، فترى من الذي هدى الإنسان والحيوان والنبات وسائر المخلوقات على هذا النحو البديع المذهل؟! أجيبوا يا أولي الألباب. حقا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.

٣ دلالة الحس:

وهي على وجهين:

الأول: إجابة الداعين وغوث المكروبين:

- قال تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣).

- فهو سبحانه يجيب دعاء المضطرين المشركين الذين يخلصون له الدين في الشدة ويشركون في الرخاء، قال تعالى :﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) [الرعد : ٤].
(٢) [النحل : ٦٨ - ٦٩].
(٣) [النمل : ٦٢].

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾(١).

الثاني: ما أيد الله به رسله من معجزات:

- فالمعجزة تدل على صدق الرسول وأيضاً على ربوبية المرسل وألوهيته لما يلي:

١- تدل كسائر الحوادث أن لها صانعاً،بل هي فوق ذلك حوادث معجزة فهي أدل من غيرها.

٢- ثم هي تثبت النبوة والرسالة ولا رسول إلا وله مرسل، فتثبت الربوبية لله.

٣- ثم إذا ثبتت الرسالة فكل ما يدعوا له الرسل واجب القبول، من حقائق الربوبية والألوهية وغيرها.

- ولقد ورد ذلك في محاجة موسى عليه السلام لفرعون إذ استدل عليه السلام بالمعجزة على ربوبية الله جل وعلا وعلى كونه مرسلاً من عنده،قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾(٢).

---

(١) [الأنعام: ٦٤].

(٢) [الشعراء : ٢٣ – ٣٣].

- وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) ، فبين أن المعجزة تدل على الرسالة وعلى الوحدانية.

٤ دلالة إجماع الأمم:

- فكل الأولين والآخرين من الأديان المختلفة لم ينقل عنهم نفي وجود الخالق سبحانه وتعالى إلا شذوذ تخلف به أصحابه وهووا به إلى دركات سحيقة من الضلال والبهتان.

٥ دلالة العقل:

لقد دل القرآن على الأدلة العقلية التي يعرف بها الخالق وتوحيده وكثير من صفاته سبحانه، ومن تلك الأدلة:

أولاً: العدم لا يخلق شيئاً:

- قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾(٢).

ثانياً: الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته :

قال تعا :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن

(١) [هود : ١٣ – ١٤].
(٢) [الطور :٣٥-٣٦].

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم
مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)

فمشاهدة الآثار والأفعال والاستدلال بها على قدرة الله سبحانه وصفاته من إحياء الموتي وبعثهم منهج شرعي ، وبتطبيق هذا على الكون الكبير نجده:

- يشهد بوجوده على أنه من صنع خالق.
- وبعظمة تكوينه على أنه من صنع عظيم قدير.
- وبما فيه من حياة على أنه من صنع حي متصف بكمال الحياة.
- وبما فيه من إحكام وتناسق وترابط على أنه من صنع حكيم عليم.
- وبنظامه الموحد وقوانينه الثابتة على أنه من صنع حاكم واحد مهيمن.

ثالثاً: فاقد الشيء لا يعطيه :

– قال تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ
نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ
سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ

(١) [الروم : ٤٨-٥٠].

فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾[١] ،وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢] وقال: ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾[٣]

ومن الأدلة العقلية أن الاتساق والنظام الموحد للكون يدل على وحدانية الخالق:

قال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٥].فلابد من أحد ثلاثة أمور:

- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.
- وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

---

(١) [الأعراف : ١٩١ – ١٩٨].
(٢) [فاطر : ٤٠].
(٣) [الفرقان : ٣].
(٤) [ا ؤمنون :٩١].
(٥) [الأنبياء : ٢٢].

- وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد متصرف فيهم كيف يشاء ، يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون له من كل وجه.

- فما دام الكون في سيره لا يبدو عليه الخلل والاضطراب بل هو متسق كامل الاتساق والانضباط فذلك لا يدل إلا على وحدانية الله العظيم القهار ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١).

---

(١) [النمل : ٥٩ – ٦٤].

الدرس الثالث

الإيمان بربوبية الله عز وجل

١ **التعريف :**

- لغةً: كلمة (الربّ) في اللغة ترجع إلى ثلاثة أصول:

الأول : مالك الشيء وصاحبه: ومنه: فلان رب الدار، أي صاحبها ومالكها، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

الثاني :السيد المطاع: قال ابن منظور: ربيت القوم، سستهم أي كنت فوقهم، وربيت القوم : أي حكمتهم وسدتهم. ومنه ما حكاه تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾(٢)،﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾(٣).

الثالث: المصلح للشيء المدبر له، القائم على تربيته:فيقال: ربُّ فلان: إذا قام على إصلاحه ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّون وَٱلْأَحْبَارُ ﴾(٤)، وقوله ﷺ : ((هل له نعمةٌ تربُها))(٥).

- شرعاً: توحيد الربوبية هو (إفراد الله تعالى بالخلق والحكم)(٦).

---

(١)[الفا ة: ٢].
(٢)[يوسف: ٢٣].
(٣)[يوسف: ٤٢]
(٤)[ا ائدة: ٤٤]
(٥) رواه مسلم ح ٢٥٦٧
(٦) مدارج السالك : ٤١٠/١

- وقوله (إفراده بالحكم) يشمل:

- (الحكم بنفعهم وضرهم، وتدبير أمورهم ورزقهم، فالله عز وجل هو النافع الضار، وهو المدبر للأمر والقاضي به، وهو الرازق فهذا حكمه القدرى والكوني، وهو ما يقضى الله به تقديراً وخلقاً.

- ويشمل حكمه الشرعي: وهو ما يقضي الله به شرعاً، فجميع أحكام الله الشرعية في خلقه من مقتضيات ربوبيته)(١).

- فالحكم نوعان الحكم الكوني والحكم الشرعي ، وهو الأمر.

- قال تعالى مبيناً تفرده بالخلق: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٢)

- وقال تعالى مبيناً تفرده بالأمر : ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾(٣).

- وجمع بين الأمرين فقال : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٤).

٢ لا يكفي الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك:

- هذا النوع من التوحيد لم تنكره طائفة معروفة من بني آدم فحتى فرعون الذي ادعي الألوهية، قال له موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾(٥)

- وحتى الملل المنحرفة لم تثبت خالقين متماثلين مثل الثنوية والقائلين بالتثليث

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيم – ر ه ا - ، ص ١٥.
(٢) [الزمر : ٦٣].
(٣) [آل عمران : ١٥٤].
(٤) [الأعراف : ٥٤].
(٥)[الإسراء : ١٠٢].

مختلفين على أنفسهم ومشركو العرب كانوا يقرون على الجملة بالخلق والرزق والتدبير لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾(١)، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢)، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٣).

٣ إقرار المشركين بالربوبية جزئي وليس كلي:

- ولكن هذا الإقرار المجمل منهم لا يعني عدم وقوع شرك في الربوبية قط، بل وقع منهم، فاعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر، كقول قوم هود لنبيهم : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾(٤).وتخويف قوم إبراهيم عليه السلام له بآلهتهم فقال لهم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٥).

---

(١)[النمل : ١٤].
(٢)[العنكبوت : ٦١].
(٣) [يونس : ٣١].
(٤) [هود : ٥٤].
(٥) [الأنعام : ٨١].

- فلم يكن إقرارهم بتوحيد الربوبية على النحو الذي جاءت به الرسل إذ لو كان كذلك لقادهم حتماً إلى عبادة الله وحده، بل كان إيماناً منقوصاً مدخولاً لم يتواطأ فيه اطمئنان الجنان مع إقرار اللسان ، ولم يخل من شوائب الشرك.

٤ الإيمان بالربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية:

- إن كثيراً مما ورد في القرآن متعلق بالتوحيد كان في تقرير الربوبية، مع إقرار المشركين الأوائل به لأنه الأساس في الدعوة إلى عبادة الله وحده.
- فلا يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة صلبة من توحيد الربوبية، فمن رسخ يقينه بتفرد الله بالخلق والملك والرزق والتدبير لابد أن يتوجه بالعبادة والدعاء إليه وحده وإلا فهو التناقض والجنون.
- وتأمل – رحمك الله – إلى قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾[1]، فتفرده سبحانه بالخلق والرزق دليل على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة.
- وتأمل قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

(١) [فاطر : ٣].
(٢) [غافر : ٦٤ – ٦٥].

- وهكذا دعا الأنبياء من قبل قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـًٔا ﴾(١).

- وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(٢)،وقال تعالى﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾(٣)، وقال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾(٤).

- فإذا كان الناس يتفاوتون بتفاوتهم في الإتيان بتوحيد الألوهية ، وكان الطريق إليه وإلى تثبيته وتقويته هو توحيد الربوبية، كان لزاماً علينا أن نحيي فريضة النظر في ملكوت السماوات والأرض والتدبر في مظاهر الربوبية لهذا الكون، فالمرء يعرف ربه بالنظر في كتابه سبحانه وبالتأمل في خلقه.

- فعلاقة توحيد الربوبية(٥) بتوحيد الألوهية:
  ١- الدلالة عليه.
  ٢- البناء والتقوية ،فعلى قدر حضور العلم يكون الداعي للعمل.

(١) [مر : ٤١ – ٤٢].
(٢)[العنكبوت : ١٧].
(٣) [يونس : ٣].
(٤) [الأنعام : ١٠٢].
(٥) والأفضل أن نقول التوحيد العملي شاملاً ذلك توحيد الأ اء والصفات أيضاً.

الدرس الرابع

الإيمان بأسماء الله وصفاته

١ التعريف:

- هو اعتقاد تفرد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال.

- وطريقة السلف في ذلك إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٢ مباحث حول التعريف :

أ- إن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه:

- فإن ذات الله تسمي بأسماء وتوصف بصفات، ولا توجد ذات بلا صفات.

- فالإيمان بصفات الله من الإيمان بالله.

ب- صفات الله من الأمور الغيبية:

- فيجب الإيمان بها كما جاءت دون الرجوع إلى شيء سوى نصوص الكتاب والسُنة بفهم السلف ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١]، وقال الإمام أحمد: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث).

---

(١) [الإسراء : ٣٦].

جـ- وجوب إجراء النصوص على ظاهرها:

- فمثلا قال تعالى : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾[1]، لو قلنا : إن الله ليس له يد حقيقية بل المراد النعم السابغة على العباد فهذا ليس إجراءً للنص على ظاهره ، فلا مجال للعقل في باب إثبات الأسماء والصفات.

د- وصف الرسول ﷺ لربه يكون بالقول أو بالفعل أو بالإقرار:

- بالقول:مثل قوله ﷺ:((يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده))[2].

- وبالفعل: مثل في حجة الوداع :((ألا بلغت)) قالوا: نعم، قال:((اللهم اشهد)) يرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس[3].

- وبالإقرار: مثال لما جاء أحد الصحابة بجارية له ضربها على وجهها ويريد اعتقاها ((فسألها ﷺ: أين اللّه؟ قالت: في السماء، فسألها: من أنا؟ ، قالت: رسول الله، فقال له: اعتقها فإنها مؤمنة))[4]، فهذا إقرار منه ﷺ بصحة وصفها لله بأنه في السماء – أي على السماء – .

هـ- ضابط الإثبات (من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل):

التحريف :

- **التعريف**:لغةً:التغيير والتبديل والإمالة والعدول،واصطلاحاً:العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره[5].

---

(١) [ا ائدة : ٦٤].

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري ح ٢٨٣٠ومسلم ح ٢٧٠٤،من حديث أ موسى الأشعري ﷺ.

(٣)رواه مسلم ح ١٢١٨

(٤)رواه مسلم ح ٥٣٧ .

(٥) تصر الصواعق ا رسلة لابن القيم ١٤٧/٢.

- **أنواع** التحريف:

- إما لفظي: كمحاولة تغيير الإعراب مثل محاولة أحد أهل البدع تغيير التشكيل في ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾(١) من الضم إلى الفتح لتعطيل صفة الكلام، فقال له العالم:كيف بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾(٢)

- وإما معنوي:وهو ما يسمونه التأويل وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل مثل تحريف معني الاستواء على العرش في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٣) إلى معني الاستيلاء.

التعطيل:

- **التعريف**: لغةً: التخلية والترك، كقوله تعالى : ﴿ وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ ﴾(٤) أي مخلاة متروكة،واصطلاحاً: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات.

- **أنواع التعطيل:**وهو إما :

- تعطيل جميع الأسماء عن جميع المعاني: فينفون العلم بأي معنى ويفوضون العلم بمعناها لله وحده ،لذا سُموا بأهل التفويض أي يفوضون العلم بمعني الأسماء لله تعالى،ويعتبرونها هي والأحرف المقطعة في بدايات السور مما لا يُعرف معناه، فيمكن وضع اسم مكان الآخر ولا يتغير المعني.

- أو تعطيل اللفظ عن معناه الحق:وقد يكون كلياً أو جزئياً مع إثبات معنى آخر.

---

(١)[النساء : ١٦٤].
(٢)[الأعراف : ١٤٣].
(٣)[طه: ٥]
(٤)[ا ج: ٤٥]

- مثال لتعطيل اللفظ عن معناه كليةً: كتعطيل صفة (الساق) في قوله ﷺ : «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً »(١).

- مثال لتعطيل اللفظ عن معناه جزئياً: مثل صفة (العلو) فهي تتضمن علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر، فيثبت البعض علو الشأن والقهر ويعطل علو الذات فيكون معطلاً جزئياً.

التكييف:

- **التعريف**:اعتقاد كيفية معينة لشيء من أسماء الله أو صفاته، قال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾(٢).

- فالصفات لابد لها من كيفية،ولكن ننفي علمنا بها لأن الله لم يخبرنا بها ونهانا عن الخوض فيما لا علم لنا به ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٣)،

التمثيل:

- **التعريف**:اعتقاد مماثل لله في حقيقة شيء من أسمائه أو صفاته .

- قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٤).

- وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾(٥).

---

(١) رواه البخاري ح ٤٦٣٥.
(٢)[طه: ١١٠]
(٣)[الإسراء: ٣٦]
(٤)[الشورى:١١]
(٥)[مر :٦٥]

- وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(١).

- وجماع ذلك ما ذكره الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – فقال : (نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله وأن تلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله:

الأولى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾(٢)، فنزهوا رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق.

الثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٣)، فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة في الكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، بعد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾.

الثالثة: أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل حيث قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾(٤).(٥)

٣ مسائل تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات:

المسألة الأولى: أهمية معرفة الأسماء والصفات:

أ- معرفة الأسماء والصفات أصل التوحيد: فالتوحيد علم وعمل، علم بأسماء الله وصفاته وربوبيته، وعمل بإخلاص العبادة له ، والعلم قبل العمل،

---

(١)[الإخلاص:٤]

(٢) [الشورى : ١١].

(٣)[الشورى : ١١].

(٤) [طه : ١١٠].

(٥) منهج ودراسات الأ اء والصفات، للشيخ مد الأم الشنقيطى.

قال الله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾(١)، (والعلم المقصود في التوحيد هو أصل العلوم وهو معرفة الله وتوحيده، قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾(٢)، أي : إنما يخاف الله عز وجل ويقدره حق قدره من عرفه وعلم عظيم قدرته وسلطانه على خلقه، نتيجة التأمل في أسرار كونه وشرعه وهم العلماء)(٣).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (إن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول)(٤).

ب- معرفة الأسماء والصفات سبب في زيادة الإيمان: قال تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾(٥)، فالإيمان يزيد وينقص، (فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله الحسنى وصفاته ازداد إيماناً وقوى يقينه)(٦).

ج- معرفة الأسماء والصفات أشرف المعارف: ذلك كما قلنا لأن شرف العلم بشرف المعلوم وبمتعلقه، وبثمرته ، قال ابن القيم : (فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل) (٧)، بل بقية العلوم تتفاوت في

---

(١)[مد:١٩]
(٢)[فاطر:٢٨]
(٣) دلائل التوحيد للقا ي ، ص ١١٧.
(٤) موع الفتاوى ، ٦/٥.
(٥)[الفتح:٤]
(٦) السعدى، التوضيح والبيان لشجرة الإ ان، ص ١٠٨.
(٧) ابن القيم، مدارج السالك ، ٣١/٣.

فضلها بعده على حسب إفضائها إليه، قال ابن القيم : (فكل علم كان أقرب إفضاء إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه)(١).

المسألة الثانية: الإحصاء والدعاء:

- عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ : ((إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر))(٢).

- والإحصاء في الحديث ليس المقصود به الحصر، فأسماء الله غير محصورة بعددٍ معين والدليل قوله ﷺ : «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(٣)، فقوله : «استأثرت به في علم الغيب عندك» يدل على أن لله أسماء أسماء لا يعرفها البشر.

- والإحصاء في الحديث يشمل كما ذكر ابن القيم ثلاثة أمور:

الأول: إحصاء ألفاظها وعدها. الثاني: فهم معانيها ومدلولها.

الثالث: دعاء الله سبحانه بها والتعبد لله بمقتضاها: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾(٤) ، ودعاء الله بها يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة:

- دعاء المسألة : هو أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله ما يناسب المقام، فعندما تتعاظم ذنوبك تلوذ باسمه الغفور ، فتقول : يا غفور اغفر لي ، وعندما

---

(١) ابن القيم، عدة الصابرين، ص ٩٣.

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري ح ٢٥٨٥ ومسلم ح ٢٦٧٧ واللفظ له .

(٣)رواه أ د ٣٩١/١،وابن حبان ح ٩٧٢،وابن أ شيبة ح ٢٩٣١٨،وا ارث بن أ أسامة ح١٠٥٧ ح١٠٥٧ ،وأبو يعلى ح ٥٢٩٧ ،والبزار ح١٩٩٤،وا اكم ح ١٨٧٧،وصححه الألبا الصحيحة ح٣٥٢٨.

(٤) [الأعراف : ١٨٥].

تختلط عليك الأمور وتحتاج لبصيص نور وهدى تقول:يا هادى اهدني،وهكذا

- دعاء العبادة: أن تتعبد الله بمقتضاها، فتتوب إليه لأنه التواب، وتسأله لأنه الكريم، وتخافه بالغيب لأنه السميع البصير الذي لا يخفي عليه خافية في السماء ولا في الأرض ،وهكذا.

المسألة الثالثة: التفاضل بين أسماء الله:

- فجاء في حديث بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : والذي نفسي بيده لقد سأل اللّه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي»[1].

- وفي حديث أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «اسم اللّه الأعظم في سور من القرآن ثلاث: في البقرة ، وآل عمران ، وطه»[2].

- وفي حديث أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ : «اسم اللّه الأعظم في هاتين الآيتين﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] وفاتحة آل عمران : ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[4]»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ح ١٤٩٣، والترمذي ح٣٤٧٥، وابن ماجه ح٣٨٥٧، وأ د٣٥٠/٥، وغ هم وصححه الألبا ا شكاة ح ٢٢٨٩،و صحيح أ داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه ح ٣٨٥٦، والطحاوي ا شكل١٨٤/١،وا اكم ح١٨٦١،و مسند الشامي ح ٧٧٨ ، والبيهقي الأ اء والصفات ٣٦/١، والفريا فضائل القرآن ح٤٥ ، وحسنه الألبا الصحيحة ح٧٤٦

(٣)[البقرة : ١٦٣].

(٤)[آل عمران : ١-٢].

(٥) أخرجه أبو داود باب الدعاء ح ١٤٩٦،والترمذي ح ٣٤٧٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجة ح ٣٨٥٥،وأ د ٤٦١/٦،والدارمي ح ٣٣٨٩،وابن راهوية ح ٢٣١٠،وابن أ شيبة ح ٢٩٣٦٣=

- وقد اختلف في تعيينه على أقوال كثيرة أوصلها البعض إلى ستين قولاً ، ولكن أقوى هذه الأقوال وأصحها استدلالاً يرجع إلى رأيين: الأول ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ، والثاني ﴿ ٱللَّهُ ﴾ وممن يري القول الأول ابن تيمية و ابن القيم .
- والأسماء الحسني والصفات العلا ترجع كلها إلى ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فالحياة الكاملة مستلزمة لجميع صفات كمال الذات، والقيومية –وهي القيام بالنفس والقيام على الغير – مستلزمة لذلك ولجميع صفات كمال الملك والفعل، فعليهما مدار الأسماء والصفات[1].

المسألة الرابعة: قاعدة أهل السنة والجماعة في الصفات:

- قاعدة أهل السنة : أن (القول في الصفات كالقول في الذات)[2]،فكما أن لله ذاتاً لا تماثل ذوات المخلوقين، فلله صفات لا تماثل صفات المخلوقين.
- ويتفرع عن ذلك قاعدة أخرى وهي أن (الكلام في بعض الصفات كالكلام في بعضها).

المسألة الخامسة: الإلحاد في أسماء الله :

- يقول تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾[3].والإلحاد هنا هو الميل بها عما يجب وهو أنواع منها:

أ) التعطيل . ، ب) التمثيل.

= وعبد بن يد ح ١٥٧٨،وابن أ حا تفس ه ١٤٥٨وغ هم،وا ديث حسنه الألبا انظر صـحيح ا امع ح ٩٨٠ وكذا صحيح سنن أ داود والترمذي وابن ماجه.

(١)شرح الطحاوية لابن أ العز ا نفي ٩١/١-٩٢

(٢)الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ١٥ .

(٣) [الأعراف : ١٨٠].

ج) تسمية الله بما لم يسم به نفسه، كتسمية الفلاسفة له (العلة الفاعلة) لأن أسماء الله توقيفية.

د) اشتقاق أسماء للأنداد من أسماء الله تعالى ، كما اشتق المشركون اسم العزى من العزيز، واللات من الله – على أحد القولين – (١).

٤ مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى إجمالاً:

- لا يتم الإيمان بالاسم إلا بثلاثة أركان: الإيمان بالاسم، وبما دل عليه من معنى، وبما تعلق به من أثر.

١- **الإيمان بالاسم ويتضمن:**

أ) إثبات الاسم حقيقة لله.

ب) الإيمان بأنه سبحانه منزه عن مماثلة المخلوقين، فقد تتفق الأسماء وتختلف في الحقيقة والكيفية بين المخلوقات، فبين الخالق والمخلوق أولى.

ج) الإيمان بأنها كلها حسنى أي بالغة في الحسن وكماله والحسن يكون في كل اسم منفرداً ويكون بجمعه إلى غيره من أسمائه تعالى فيزيد كمالاً فوق كمالٍ.

٢- **الإيمان بما دل عليه الاسم من معنى : ويتضمن:**

أ) الإيمان بأن لكل اسم معني معلوم واضح يختص به عن غيره ولكن الكيفية غير معلومة.

ب) أسماء الله أعلام وأوصاف فهي أعلام بدلالتها على الذات وأوصاف بدلالتها على المعاني التي تتضمنها.

ج) أن معنى الاسم هو المعني المتبادر إلى الذهن من ظاهر النص، وهو يختلف

(١) القول الثا أ ا كانت أ اء رجال صا ا هلكوا صنعوا م اثيل عبدت.

بحسب السياق.

٣- **الإيمان بما يتعلق من آثار (الحكم أو المقتضى):**

- وهو ليس عاماً في جميع الأسماء، فهي إن دلت على وصف متعد مثل الرحيم كان لها أثر وهو في هذا المثل الرحمة، أما إن دلت على وصف لازم غير متعد مثل (الحى) فتدل على الذات وعلى الصفة فقط وهي في هذا المثل (الحياة الكاملة).

- يقول ابن القيم : (فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار ......)[1].

(١) ابن القيم، تصر الصواعق ا رسلة.

الدرس الخامس

الإيمان بألوهية الله عز وجل

١ التعريف:

- **الإله : في اللغة :ذُكرت له عدة معاني ، منها:**
- **الإله بمعنى المألوه : أي المعبود سواء كان بحقٍ أو باطلٍ ، والتأله هو : التعبد والتنسك.**
- **الإله من أله:إذا تحير،وأصله (وله يوله ولهاً – أي أن الهمزة مبدلة من الواو[1]–) فالإله سبحانه وتعالى تتحير الألباب والفكر في حقائق صفاته.**
- **الإله مأخوذ من أله إلى كذا أي لجأ إليه : فالمعنى: هو من يُفزع إليه في النوائب لأنه المجير لجميع الخلائق.**
- **الإله مشتق من (لاه يليه،ويلوه لياهاً) إذا احتجب ، ففيه معنى الاحتجاب.**
- **الإله مشتق من(ألهت إلى فلان) أي سكنت إليه،فالقلوب لا تسكن إلا بذكره.**
- **الإله مشتق من الارتفاع ،فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع (لاها)، وإذا طلعت الشمس يقولون(لاهت)،فلفظ الجلالة يتضمن معنى العلو والارتفاع.**
- **وتوحيد الألوهية اصطلاحاً هو: إفراد الله بالعبادة قولاً وعملاً وقصداً والبراءة من كل معبود دونه. ويُقال له (توحيد الطلب والقصد).**

---

(١) وقد أنكر ابن فارس هذا ا ء معجم مقاييس اللغة،وأثبته ابن منظور لسان العرب.

٢ أهميته:

دعوة الرسل أجمعين:

لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢] وقال ﷺ : «الأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٣]، فالدين واحد وهو التوحيد،والشرائع متفاوتة لقوله تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾[٤]

أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين:

فلا يُقبل منهم عمل ولا يصح إلا به ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴾[٥]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٦]، وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن :«إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم

---

(١)[الأنبياء : ٢٥]

(٢)[النحل : ٣٦]

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري ح ٣٢٥٩ ، ومسلم ح ٢٣٦٥ من حديث أ هريرة رضي الله عنه .

(٤) [ا ائدة : ٤٨].

(٥) [النساء : ١٢٤].

(٦) [الزمر : ٦٥ - ٦٦].

وليلتهم.»[١]

معقد النجاة في الدنيا :

– قال ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»[٢].

معقد النجاة في الآخرة :

– قال ﷺ وقد سئل : ما الموجبتان؟، فقال : «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[٣] .

– وقال ﷺ : «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٤].

– وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : «يا معاذ تدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟، قال : قلت الله ورسوله أعلم، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟، قال: لا تبشرهم فيتكلوا»[٥].

أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده :

– فبدأ بها سبحانه سورة النعم (النحل)وذكرها قبل ما دونها من النعم فقال تعالى ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[٦].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري ح ١٣٨٩ - مسلم ح ١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ح ٦٥٢٦ ،ومسلم ح ٢١ من حديث أ هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم ح ٩٣ من حديث جابر بن عبد ا رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم ح ٢٦ من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه أخرجه البخاري ح ٥٩١٢ ،ومسلم ح ٣٠ واللفظ له من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٦) [النحل : ٢].

العروة الوثقى :

- قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾(١).

القول الثابت :

- الذي ذكره سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾(٢)، كما ثبت في الصحيحين عن البراء عن النبي ﷺ.

الكلمة الطيبة :

- المضروبة مثلاً في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾(٣)، كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه

العهد :

- في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾(٤)

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه: هو شهادة أن لا إله إلا الله والبراءة من الحول والقوة إلا بالله وأن لا يرجوا إلا الله.

٣ الطريق إلى إثباته:

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ

---

(١) [البقرة : ٢٥٦].
(٢) [إبراهيم : ٢٧].
(٣) [إبراهيم : ٢٤].
(٤) [مر : ٨٧].

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقًا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(١).

- فتوحيد الربوبية هو الطريق الفطري لإثبات توحدي الألوهية ذلك أن النفوس مجبولة على التعلق بمصدر خلقها ومنشأ نفعها وضرها، ثم تنتقل إلى البحث عن الوسائل التي تقربها إليه وترضيه عنها.

٤ العبادة:

التعريف :

- لغةً: أصلها الخضوع والذل ، ويقال : طريقٌ معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء ، والتعبيد : التذليل(٢).
- واصطلاحاً: فالعبادة من حيث معناها وأدائها هي : (اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته)(٣)، ومن حيث أنواعها وأفرادها هي (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)(٤).
- فهي مبنية على أمرين عظيمين هما المحبة والتعظيم،قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ ﴾(٥)، فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة.

---

(١) [البقرة : ٢١ – ٢٢].
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٧٠/٣ ، و مع اللغة لابن فارس، ٦٤٢/٣.
(٣) ابن تيمية ، موع الفتاوى ، ١٩/١٠.
(٤) ابن تيمية، رسالة العبودية، ص ٤.
(٥) [الأنبياء: ٩٠].

شروط العبادة[١]: ثلاثة:

الأول: صدق العزيمة. الثاني: الإخلاص. الثالث: متابعة الرسول ﷺ.

فالأول شرط في صدور في العبادة، والثاني والثالث شرطان في قبولها.

الشرط الأول: صدق العزيمة:

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾[٢].

وهو أن يبذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهي الله عنه.

الثاني: الإخلاص:

- حقيقته أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة.

- قال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٤]، وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[٥].

الثالث: المتابعة:

- أي متابعة الرسول ﷺ وهو شرط لازم لقبول العبادة من العبد، فيعبد الله وفق

---

(١) انظر معارج القبول ص ٤٣٩-٤٤٢.

(٢) [الأحزاب: ٢٣].

(٣) [الليل: ١٧-٢١].

(٤) [البينة: ٥].

(٥) البخاري باب بدء الوحي ح١

ما شرع لا بالأهواء والبدع.

- قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾(١)، وقال ﷺ:((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))(٢).

- وكما قال الفضيل بن عياض – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾(٣)، قال: أخلصه وأصوبه، يعنى خالصاً من شوائب الشرك موافقاً للسنة.

- وكان الفضيل بن عياض – رحمه الله – يقول : (إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة).

أنواع العبودية(٤):

١ – عبودية عامة كونية: لجميع الخلق في كل زمان ومكان، وهي ليست إلا لله وحده، وهي عبودية تسخير وتيسير، يدخل فيها الكافر والمسلم، والبر والفاجر، قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾(٥)

(٥)

(١)[ا شر : ٧]

(٢) متفق عليه،أخرجه البخاري ح ٢٥٥٠،ومسلم ح ١٧١٨واللفظ له من حديث عائشة رضي ا عنها

(٣) [ا لملك : ٢].

(٤)وهناك نوع آخر وهو عبودية البشر للبشر ،و ا أحكام فقهية تدرس أما ا الفقه.

(٥) [مر : ٩٣ – ٩٥].

٢- عبودية خاصة : يصطفي لها سبحانه من يشاء من عباده ،وهي عبودية تشريف وتكريم ،قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾(١)، وقال تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾(٢).

- وهذه العبودية الخاصة هي مناط الكفر والإيمان : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾(٣).

- وبهذه العبودية الخاصة يتفاضل العباد في تحقيقها والارتقاء في درجاتها تفاضلاً

- وهي العبودية المراد تحقيقها كما قال ابن القيم : (مدار الدين على النصح في العبودية، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له)(٤)، وقال المقريزي : (عند إتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة)(٥).

أقسام العبودية:

من تعريف العبادة يظهر أن العبادة تنقسم إلى عبادة الباطن وعبادة الظاهر

١- عبادة الباطن: (أو القلب)

- وهي تشمل قول القلب والمراد به التصديق، وعمل القلب وهو يشمل كل أعمال القلب من حب وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة وخضوع وإخبات وخشوع وتوبة ونحوها، وجماعها كمال الحب مع كمال الذل.

---

(١) [ا جر : ٤٢].
(٢) [الزخرف : ٦٨].
(٣) [الزمر : ٢].
(٤) ابن الفيم، مدارج السالك ، ١/١١٠.
(٥) ا فريزى، ريد التوحيد، ص ١١٤.

- وهي التي تفرق بين المؤمن والمنافق،وهي الأصل لعبودية سائر الجوارح،وقد عُلقت النجاة يوم القيامة عليها ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(١)، وقال ﷺ : «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٢).

٢- عبادة الظاهر :

- وهي تشمل قول اللسان وعمل الجوارح.
- وخُص اللسان بالذكر دون الجوارح الأخرى لأنه المترجم لما في القلب، ولأنه أسهل وأسبق من غيره،ولخطورته،لذا كان التحذير من تبعته قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٣)، وقال ﷺ : «وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم»(٤).
- ومن أسباب تخصيص اللسان بالذكرأن نطق الشهادتين يكون به، ولا يصح إسلام أحد يقدر على نطقها دون ذلك.
- ولذلك قسم بعض أهل العلم العبادة إلى ثلاثة أقسام (العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى منها عبودية خاصة)(٥).

---

(١) [الشعراء:٨٨-٨٩].

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري ح ٥٢ ، ومسلم ح ١٥٩٩، قال ابن حجر :(وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب) فتح الباري: ١٧١/١.

(٣) [ق:١٨].

(٤) أخرجه الترمذي ح٢٦١٦ ، وابن ماجه ح٣٩٧٣ ، وأ د ٢٣١/٥ ، قال الألبا " السلسـلة الصحيحة " ١١٤/٣:ا ديث صحيح جموع طرقه.

(٥) مدارج السالك (٩١/١)

- البعض يفهم أعمال الجوارح فهماً قاصراً فيقصره على بعض الشعائر التعبدية وهذا من المفاهيم المغلوطة التي تفصل الدين عن الحياة، والصحيح أن أعمال الجوارح تشمل كل قول أو فعل يحبه الله ويرضاه، فالعاديات تتحول بالنية الصالحة إلى عبادات ولهذا قال ﷺ : «و في بضع أحدكم صدقة» فقالوا: أيأتي أحدنا أهله فيكون له صدقة؟،قال:«أرأيتم إن وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال فإنها تكون له أجراً» [1]، ولذلك كان العلماء يعدون كفاية أمور المسلمين والقيام بحوائجهم في الزراعات والصناعات ونحوه من جملة فروض الكفايات، ويلتحق بالنية الصالحة بأبواب العبادات.

(١) رواه مسلم ح ١٠٠٦ من حديث أ ذر رضي الله عنه

الدرس السادس

من توحيد الألوهية

إفراده سبحانه وتعالى بالمحبة والتعظيم والتأله

١ المقصود به :

- أن الأعمال التي لا تقام إلا على وجه التقرب والتعبد والتي تعبدنا الله بصرفها له وحده لا يجوز صرفها لغيره كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة ، وكالخوف والمحبة ، وكالنذر والذبح والطواف وغيرها .

- وسبب التأكيد عليها هنا هو وقوع البعض من المسلمين في صرف بعضها لغير الله ، كغلاة القبوريين والذين يصرفون بعض هذه العبادات لغير الله من الذين اتخذوهم أولياء وصالحين.

٢ الدعاء والاستغاثة والاستعاذة:

أ- **الدعاء**: الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة:

- دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

- وهو يتضمن دعاء العبادة لأن السائل يخلص سؤله لله ويرغب له سبحانه بخضوع وتذلل.

- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(١)،وقال ﷺ:«الدعاء هو العبادة»(٢)

- وقد أنكر القرآن على من صرفه لغير الله، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٣).

- أما دعاء العبادة: هو سائر القربات من ذكر وتلاوة وصلاة وغيرها وسميت دعاءً لأنها متضمنة معنى طلب الخير والرضا من الله تعالى.

ب- الاستغاثة:

- وهي طلب الغوث ، والغوث إزالة الشدة.

- والفرق بينها وبين الدعاء أنها لا تكون إلا في مكروه بخلاف الدعاء فهو أعم، فكل استغاثة دعاء.

- وقد حذر القرآن من دعاء غيره ﷻ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٥)، وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

---

(١) [غافر : ٦٠]
(٢) أخرجه أبو داود ح ١٤٧٩، والترمذي ح ٢٩٦٩ وقال:هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجـه ح ٣٨٢٨ ، وصححه الألبا سنن الترمذى
(٣) [يونس : ١٠٦].
(٤) [ا ن : ١٨].
(٥) [الأعراف : ١٩٤].

ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾(١)، فهؤلاء الذين يدعونهم من دونه لا يملكون كشف الضر عن من يدعوهم بل بعضهم مسلمون لله يلجأون إليه لدفع الضر عن أنفسهم وجلب الخير لهم.

- والاستغاثة بالمخلوق نوعان:

أولاً: مشروعة: وهي فيما يقدر عليه فقط، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾(٢)، ولكن بشرط اعتماد القلب على الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣).

ثانياً: غير مشروعة: وهي:

- الاستغاثة بالغائب لأن فيها تسوية بالله في صفة (العلم بالغيب).
- الاستغاثة بالحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله لأن فيها تسوية بالله في صفة (القدرة)
- الاستغاثة بالحاضرين فيما يقدر عليه مع اعتماد القلب على المخلوق.

جـ. الاستعاذة:

- وهي الالتجاء والاعتصام، وهو يكون لدفع الشر أما اللياذ فيكون لطلب الخير.
- فالعائذ بالله قد التجأ إليه سبحانه واعتصم به من كل شيء، قال تعالى:

---

(١) [الإسراء: ٥٦ – ٥٧].
(٢) [القصص: ١٥].
(٣) [المائدة:٢٣].

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(1)

-وقد نص الإمام أحمد وغيره على عدم جواز الاستعاذة بالمخلوق، بل كان هذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لأنه ثبت أن النبي ﷺ استعاذ بكلمات الله التامات، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾(2).

٣ الخوف والمحبة:

أ- الخوف:

- إن الخوف من الله من أفضل مقامات الدين ومن أجمع أنواع العبادة التي أمر الله بإخلاصها له سبحانه، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(3)، وقال تعالى حاكياً عن عباده الصالحين : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾(4).

- والخوف أقسام :

١- خوف السر: وهو عبودية القلب وهو من أجمع أنواع العبادة ويجب إخلاصه لله، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك معه غيره، كمن يخاف من غير الله أن يصيبه بمكروه، كما قال تعالى عن قوم هود قولهم : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا

(١) [فصلت : ٣٦].
(٢) [ا ن : ٦].
(٣) [آل عمران : ١٧٥].
(٤) [الطور : ٢٦ – ٢٧].

ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(١).

٢- ترك بعض الواجبات خوفاً من الناس: وهذا محرم ومنافي لكمال التوحيد ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢).

٣- الخوف الطبيعي: من سبعٍ أو عدوٍ أو غيره وهذا لا يذم ، قال تعالى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ ﴾(٣)، وقال : ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾(٤)، فهو أمرٌ جبلي يتفاوت الناس فيه.

ب- المحبة:

- وكمال العبودية هو كمال المحبة وكمال الخضوع، فهي لا تصلح إلا لله تعالى.
- قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(٥).
- فالمحبة في الله تختلف عن المحبة مع الله، فالأولى واجبة وتابعة لمحبة الله،والثانية شركية لما فيها من التأله لغير الله والتعلق به والرغبة إليه من دون الله، ولما فيها من التسوية بالله، لذا يقولون لآلهتهم في النار ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

---

(١) [هود : ٥٤].
(٢) [آل عمران : ١٧٥].
(٣) [القصص : ٢١].
(٤) [طه : ٦٧].
(٥) [البقرة : ١٦٥].

﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١]

- أما جنس المحبة الطبيعي وهو ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة المال والولد ونحوه فهو مباح ما لم يستلزم ترك واجب أو جرأة على معصية.

٤ النذر والذبح والطواف:

أ- النذر:

- في اللغة: الالتزام والعهد، وفي الشرع: (إلزام المكلف نفسه لله شيئاً)[٢].

- والوفاء بالنذر عبادة جاء الأمر بها ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾[٣]، وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[٤].

- ولذلك فإن النذر لغير الله شرك لما فيه من تعظيم المنذور له والتقرب إليه بذلك، وهو نذر معصية ولا يجوز الوفاء به وهو كالحلف بغير الله.

- فالنذر لغير الله باطل من وجوه:

  - أنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق.
  - أن المنذور له ميت لا يملك شيئاً.
  - أن اعتبار أن الميت يتصرف في الأمور شرك.
  - أن خوف بطش الميت ونقمته إذا لم يوف بالنذر من الشرك الظاهر.

- وإن كان كثير من العوام في عصرنا لهم شبهات مختلفة مثل قولهم: النذر لله

---

(١) [الشعراء : ٩٧ – ٩٨].

(٢) ابن عثيم ، القول ا فيد على كتاب التوحيد، ٣٠٣/١.

(٣) [ا ج : ٢٩].

(٤) أخرجه البخاري ح ٦٣١٨ من حديث عائشة رضي ا عنها.

والثواب للشيخ، والواقع غير ذلك،ولكن لابد من اعتبار هذه الشبهة قبل إجراء الأحكام، فيجب زوال الشبهة أولاً.

ب ـ الذبح:

- وهو شعيرة من شعائر الدين وعبادةمن أجل العبادات جمع الله بينها وبين الصلاة فقال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]، فكما أن الصلاة أجل العبادات البدنية فالذبح أجل العبادات المالية.
- قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[2]

والنسك:لغةً العبادة، وشرعاً:ذبح القربات، وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه باباً لتحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله وروى حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : «لعن اللّه من ذبح لغير اللّه، و لعن اللّه من أوى محدثاً، لعن اللّه من لعن والديه، و لعن اللّه من غير منار الأرض»[3].

جـ ـ الطواف:

- وهو من العبادات التي لا تكون إلا لله تعالى، ﴿ وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾[4]، وقال عز وجل : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[5]، فلا يصرف إلا لله وحده.

---

(١) [الكوثر : ٣].
(٢) [الأنعام : ٢٢].
(٣) أخرجه مسلم ح ١٩٧٨.
(٤) [ا ج : ٢٩].
(٥) [البقرة : ١٢٥].

الدرس السابع

من توحيد الألوهية:

إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالطاعة والانقياد

١ المقصود به:

- إفراد الله تعالى بالطاعة والانقياد وذلك بتحكيم شرعه والقبول التام لكل ما جاء به نبيه ﷺ والكفر بما يتنافى مع ذلك من الأهواء البشرية والمذاهب الوضعية فلا حلال إلا ما أحل الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ولا واجب إلا ما أوجبه ولا دين إلا ما شرعه.
- قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١) ، فدعا إلى إفراد الله بالحكم وبيَّن أن ذلك من إفراده تعالى بالعبادة وأن هذا هو الدين القيم.
- وسبب التأكيد عليه هنا هو تلك الغاشية التي نزلت بالأمة في هذه العصور الحديثة والتي لم تكن في أي عصر سابق للأمة وهي تنحية الشريعة الإسلامية والدعوة إلى العلمانية أو (اللادينية) واتهام الشريعة أنها مصدر الرجعية والتخلف وعائق ضد التقدم والمدنية.

---

(١) [يوسف : ٤٠].

٢ الطاعة المطلقة لله وحده:

- قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾(١) ، ولقد اتفق الأصوليون أن الحاكم لجميع أفعال المكلفين هو الله وحده.
- والرسول ﷺ يطاع لأن طاعته طاعة لله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(٢)
- وإليهما المرجع عند التنازع ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾(٣).
- ومن جعل لغيره سبحانه سلطة عليا في التشريع – ولو في حكم واحد – لحقه قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(٤). قال ابن كثير – رحمه الله – (أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك)(٥)
- قال ابن تيمية – رحمه الله -:(وهذا هو حقيقة دين الإسلام،وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره،فالمستسلم له ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام مستكبر)(٦)
- ويعلل ذلك العز بن عبد السلام – رحمه الله - فيقول : (ونفرد الإله بالطاعة لاختصاصه بنعم الإنشاء والإبقاء،والتغذية والإصلاح الديني والدنيوي،فما

---

(١) [الأنعام : ١١٤].
(٢) [النساء : ٨٠].
(٣) [النساء : ٥٩].
(٤) [الأنعام : ١٢١].
(٥) تفس ابن كث ٣٢٩/٣
(٦) ابن تيمية، العبودية، ص ٣٧.

من خيرٍ إلا هو جالبه ولا من ضيرٍ إلا هو سالبه)[١].

٣ النصوص على وجوب التحاكم لشرع الله دون غيره من الشرائع:

- قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾[٢]،(أي: قل يا أيها الرسول ﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ أحاكم إليه،وأتقيد بأوامره ونواهيه ، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص،والعيب،والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر)[٣].
- قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[٤]،قال ابن عطية : (معناه على قوانين الشرع إما بوحي ونص، أو بنظر جار على سنن الوحي، وقد تضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة)[٥].
- وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَ ٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا

---

(١) العز بن عبد السلام، فواعد الأحكام، ١٥٨/٢.
(٢) [الأنعام : ١١٤].
(٣) تفس السعدي ص ٢٧٠
(٤) [النساء:١١٤].
(٥) ا رر الوجيز، ٢٤٥/٤.

بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(١)، وقد جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن المنافقين الذين يزعمون أنهم مؤمنون ومع هذا يتحاكمون إلى الطاغوت وإذا دعوا إلى الرسول ليحكم بينهم استكبروا ورفضوا ، ونقف مع أربع آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾(٢)، قال ابن كثير– رحمه الله –: (أي:ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر)(٣).

---

(١) [النساء : ٥٩ – ٦٥].

(٢) [النساء:٥٩].

(٣) تفسـ ابن كثـ ، ٢/ ٣٤٥- ٣٤٦ .

- وقد جاء بعد هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(١)، قال ابن القيم: (فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والإلتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق)(٢).

الثانية :قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(٣) ، قال ابن كثير – رحمه الله –: (هذا إنكار من الله، عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله)(٤)

الثالثة :قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٥)،قال السعدي – رحمه الله –:(يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع)(٦)

---

(١) [النساء:٦١].
(٢) تصر الصواعق ا رسلة، ٣٥٣/٢.
(٣) [النساء:٦٠].
(٤) تفس ابن كث ٢/ ٣٤٦
(٥) تفس السعدي ص ١٨٤ .
(٦) [النساء:٦٤].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١]. يقول ابن القيم – رحمه الله – : (وفرض تحكيمه لم يسقط بموته، بل ثابت بعد موته، كما كان ثابتاً في حياته، وليس تحكيمه مختصاً بالعمليات دون العلميات كما يقول أهل الزيغ والإلحاد، وقد افتتح سبحانه هذا الخبر بالقسم المؤكد بالنفي قبله، واقسم على انتفاء الإيمان منهم حتى يحكموا رسول الله ﷺ في جميع ما تنازعوا فيه من دقيق الدين وجليله ، وفروعه وأصوله ثم لم يكتف منهم بهذا التحكيم حتى ينتفي الحرج وهو الضيق مما حكم به، فتنشرح صدورهم لقبول حكمه انشراحاً لا يبقي معه حرج ويسلموا تسليماً، أي ينقادوا لحكمه)[٢].

- ومن الآيات الواردة قوله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣]، وقد جاء أن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: ((يا عدي اطرح هذا الوثن عن عنقك))، قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قال : قلت:

(١) [النساء:٦٥].
(٢) تصر الصواعق ا رسلة، ٣٥٢/٢، وانظر أعلام ا وقع ، ٥٤/١.
(٣) [التوبة:٣١].

يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم،فقال: ((أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟)) قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم))[١].

- ومن الآيات الواردة في إفراده بالحكم عموماً: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٢] قال الشنقيطي – رحمه الله -: (والمعنى : ولا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جل وعلا لا حكم لغيره ألبتة، فالحلال ما أحله تعالى ،والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه . والقضاء ما قضاه)، ثم قال : (وحكمه جل وعلا المذكور في قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ شامل لكل ما يقضيه جل وعلا . ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً)

- والآيات في ذلك كثيرة:

- قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾[٣]،

- قال تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[٤]،

- قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾[٥]،

- قال تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٦]،

- قال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم

---

(١) أخرجه الترمذي ح٣٠٩٥،والط ا ٩/١٧ ٢١٨،والبيهقي ١١٦/١٠وحسنه الألبا غاية ا رام ح٦

(٢) [الكهف : ٢٦].

(٣) [الأنعام : ٦٢].

(٤) [الأنعام : ٥٧].

(٥) [الرعد : ٤١].

(٦) [يوسف : ٤٠].

مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(١)،

- قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾(٢).

(١) [النور: ٤٦ – ٥٢].
(٢) [الأحزاب: ٣٦].

الدرس الثامن

من توحيد الألوهية

الــولاء والبـــراء

١ التعريف :

- الولاء: هو الدنو والتقرب والنصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً، وموالاة الكافرين تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا.
- أما البراء: فهو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.
- فأصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة البغض.
- وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة: كالنصرة والأنس والمعاونة وكالجهاد والهجرة.

٢ أصناف الناس تبعاً لعقيدة الولاء والبراء:

- الناس باعتبار الولاء والبراء ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يحب جملة: وهو المسلم الذي يقوم بالواجبات ويجتنب المحرمات فهذا هو الأصل في حاله.

الصنف الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه: وهو المسلم الذي يترك

بعض الواجبات أو يرتكب بعض المحرمات، وهو على أصل إسلامه فيحب ويوالي على قدر ما فيه من الخير، ويبغض ويعادي على قدر ما معه من شر.

- فهذا عبد الله بن حمار ﷺ وهو من أصحاب رسول الله ﷺ كان يشرب الخمر فأتي به إلى رسول الله ﷺ، فلعنه رجل، وقال: ما أكثر ما يؤتي به، فقال النبي ﷺ: (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)[١].

الصنف الثالث: من يبغض جملة وهو من كفر بالله.

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه – وإن ظلمه – فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[٢]، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن، أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدي عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه، وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وطاعة ومعصية وسُنة وبدعة، استحق من الموالاة

---

(١) أخرجه البخاريح٦٣٩٨،بلفظ ((لا تلعنوه فوا ما علمت إلا إنه ب ا ورسوله)).
(٢) [ا جرات : ٩ – ١٠].

والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته وهذا الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم)(١).

- هذا مع التنبيه أن الولاء القلبي والعداوة القلبية يجب أن يكونا كاملين أما فعل البدن فحسب القدرة.

٣ نصوص الكتاب والسنة وغرس عقيدة الولاء والبراء :

- قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾(٢).

- وقال سبحانه: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٣).

- وقال عز من قائل: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾(٤).

(١) ابن تيمية، موع الفتاوى ، ٢٠٨/٢٨ - ٢٠٩.
(٢) [آل عمران :٢٨].
(٣) [النساء : ٨٩].
(٤) [ا ادلة : ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾(١).

- وقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٢).

- وفي ذلك حرص على تجريدٌ المسلم من كل انتماءٍ إلا انتمائه لهذا الدين،قال ﷺ «إن الله قد أذهب عنكم عُبيِّة الجاهلية (الكبر) وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعنَّ رجالٌ فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها الشيء»(٣).

- و قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾(٤).وفي ذلك تجريدٌ للنفس من كل محبوب أو مرهوب أو مرغوب سوى الله،

٤ من صورة الموالاة في الله :

الإيثار: كما قال تعالى عن الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟

(١) [الزمر : ١٧].
(٢) آل عمران : ٨٥].
(٣) أخرجه الترمذي ح٣٢٧٠ من حديث ابن عمر،ومن حديث أ هريرة ح٣٩٥٥،وأبو داود ح ٥١١٦، وصححه الألبا صحيح الترمذي.
(٤) [يونس : ١٠٧].

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

- وقد روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قالت الأنصار للنبي ﷺ : قسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا ، فقالوا : تكفونا المؤنة ونُشرككم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا»(٢).

ومنها أيضاً النصرة :وهو واجب أخوى إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ﴾(٣)، وقال ﷺ : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»(٤)، وقال ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(٥).

٥ ومن صور المعاداة في الله:

معاداة أولى القربى الكافرين: قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ

(١) [ا شر: ٩].
(٢) أخرجه البخاري ح ٢٢٠٠ .
(٣) [الأنفال:٧٢]
(٤) أخرجه البخاري ح ٢٣١١ من حديث أنس رضي الله عنه.
(٥)أخرجه البخاري ح ٢٣١٠، ومسلم ح٢٥٨٠واللفظ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[١]، وهو مثل قول عبد الله بن عبد الله بن سلول ﷺ لأبيه: « والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز »[٢] .

-وهذا النهي لا يتناول المحبة الطبيعية بين الابن وأبيه أو الزوج وزوجته الكتابية وغير ذلك.

٦) من صور موالاة الكافرين:

وهذه الصور تتفاوت بين الكفر كمن أحب الكفار لكفرهم وبين الكبائر كمن عظم الكفار:

١- الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم: وهذا كفر أكبر.

٢- التولى العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء: قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]، قال الطبرى – رحمه الله – : (من اتخذ الكفار أعواناً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين، فليس من الله في شيء أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ

---

(١) [ا ادلة:٢٢].

(٢) أخرجه الترمذي ح٣٣١٥ ،وصححه الألبا صحيح سنن الترمذي.

(٣) [آل عمران : ٢٨].

تُقَىٰةً ﴾(١) أى إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتغمروا العداوة ولا تشابهوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينونهم على مسلم بفعل)(٢).

٣- **الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر أو التحاكم إليهم دون كتاب الله:** كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾(٣)، ومن ذلك بعض المقولات الحديثة مثل (فصل الدين عن الحياة)، (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)، (التمسك بالدين رجعية وتخلف)، (الدين لله والوطن للجميع)، (الدعوة إلى الوطنية والقومية).

٤- **مودتهم ومحبتهم:**قال تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(٤).

٥- **مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين:** ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(٥). والفرق بين المداهنة والمداراة: أن المداهنة هي ترك ما يجب لله والتغافل عنه لغرض دنيوي وحكمها التحريم، أما المداراة فهي درء الشر

---

(١) [آل عمران : ٢٨].
(٢) الط ي، ٢٨/٣.
(٣) [النساء : ٥١].
(٤) [ا ادلة : ٢٢].
(٥) [القلم : ٩].

المفسد بالقول اللين وحكمها الجواز بشرط ألا ينتج عنها قدح في أصل من أصول الدين وواجباته وفيما لا يؤدي لضرر الغير في أموالهم وأنفسهم.

٦- **اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1]، وبطانة الرجل خاصته والعلة قوله تعالى ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾، أي لا يقصِّرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد ويودون ما يضركم.

٧- **طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به:** قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[2].

٨- **مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله:** قال تعالى :﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[3] ، قال الطبرى : (وفي الآية دلالة واضحة على النهى عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من الكفر والبدعة والفسق عند خوضهم في باطلهم)[4].

---

(١) [آل عمران : ١١٨].

(٢) [الكهف: ٢٨].

(٣) [النساء: ١٤٠].

(٤) الط ى، ٣٣٠/٥.

٩- توليتهم أمور المسلمين :كالإمارة والكتابة فذلك ينافي البراءة لأن هذه الأمور فيها إعزاز فلا تجتمع مع إذلال الكفر أبداً، ونحن مأمورون ألا ندع للكافرين علواً فوق المسلمين. وقد روى الإمام أحمد – رحمه الله – بإسناد صحيح عن طريق أبي موسى الأشعري ﷺ قال : (قلت لعمر ﷺ إن لي كاتباً نصرانياً، قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾(١)، ألا اتخذت حنيفياً مسلماً ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله)(٢).

- وبعض أهل العلم يفرق بين استعمال الكافر بمفرده في أمر من الأمور وبين توليته سلطاناً ونفوذاً في الدولة المسلمة ، فأما الأول فيجوز بشرطين: الأول: تعذر من يحل محله من المسلمين، والثاني: أن يؤمن جانبه على الإسلام والمسلمين، أما الثاني: وهو توليته سلطاناً ونفوذاً فلا يجوز لمنافاته مقصود الشريعة من إعلاء كلمة الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى.

١٠- تهنئتهم والثناء عليهم:وفيه تفصيل:

- فالكفار المحاربون لله ورسوله لا تجوز تهنئتهم أفراداً أو حكومات سواء كانت الحرب فكرية أو عسكرية.
- أما أهل الذمة والمستأمنون أو الكفار المسالمون فقد أباح الإمام أحمد في أحد الروايتين تهنئتهم ،وفي الثانية منعه، فتحمل رواية الإباحة على التهنئة بالزواج

---

(١) [المائدة:٥١].

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٥٠،و أقف على الأثر عند أحمد وهو عند البيهقي ١٢٧/١٠.

والولد والعودة من السفر والسلامة من المكروه إذا أريد بذلك الملاطفة وحسن المعاشرة تمهيداً للدعوة للإسلام، وتحمل رواية المنع على قصد التقرب فقط والمصلحة الشخصية دون قصد الدعوة، والتهنئة تكون بالألفاظ المشتركة، أما التهنئة بالشعائر الكفرية فيحرم بالاتفاق.

١١- التقويم بتقويمهم وترك التقويم الهجري.

١٢- التشبه بهم في الملبس والمظهر وغير ذلك والإعجاب بهم واتخاذهم قدوات: قال ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم»(١)، أي فهو منهم فيما شابههم فيه إن كان كفراً فكفر وإن كان دون ذلك فحسب ، وفي الحديث قال ﷺ : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم »(٢).

٧ بعض الأحكام المتعلقة بالولاء والبراء:

- البيع والشراء: يقول الشيخ الإسلام: (الأصل أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه)(٣)، وعلى ذلك فيكون الأصل جواز البيع والشراء والهدية ونحو ذلك، وقد روى البخارى من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، قال:«كنا مع النبي ﷺ ثم جاء رجل – مشرك مشعان (مشعث الشعر) طويل – بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ : بيعاً أم عطية؟ – أو قال : أم هبة؟ – فقال: لا بيع، فاشترى منه شاة»(٤).

- عيادتهم: عن أنس ﷺ قال: «كان غلام يهودى يخدم رسول الله ﷺ فمرض،

(١) أخرجه أبو داود ح ٤٠٣١,وعبد بن يدح٨٤٨، قال الألبا إرواء الغليل (اسناده حسن).
(٢) أخرجه البخاري ح ٣٢٧٥،ومسلم ح ٢١٠٣من حديث أ هريرة ﷺ.
(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٥٥.
(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري ح٢١٠٣،ومسلم ح٢٠٥٦.

فأتاه النبي ﷺ يعوده،فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»(١).

- قال ابن بطال: (إنما تشرع عيادته إذا رجي أن يجيب إلى الدخول في الإسلام، فإذا لم يطمع في ذلك فلا ..)، قال ابن حجر: (والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى)(٢).

- السلام عليهم: فيه ثلاثة أحاديث:

الأول: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»(٣).

الثاني: عن أسامة بن زيد ﷺ : «أن النبي مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، فسلم عليهم النبي ﷺ»(٤).

الثالث: عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ :«إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم»(٥).

- وعلى ذلك اختلف العلماء على بدء الكفار بالسلام: فحرمه الأكثر، وذهبت طائفة إلى الجواز ورُوى ذلك عن ابن عباس ﷺ وغيره ولكن بصيغة (السلام عليك) دون الرحمة وبالإفراد، وقالت طائفة أنه يجوز لمصلحة راجحة من

(١) أخرجه البخاري ح ١٢٩٥
(٢) فتح الباري ، ١١٩/١٠.
(٣) أخرجه مسلم ح٢١٦٧.
(٤) متفق عليه،أخرجه البخاري كتاب الاستئذان٣٨/١١، ومسلم كتاب ا هاد ١٢٢٢/٣.
(٥) متفق عليه،أخرجه البخاري ح٤٢٩٠، ومسلم ح١٧٩٨.

حاجة أو خوف أذى أو لقرابة وغير ذلك، ورُوى ذلك عن إبراهيم النخعي ، وذكره ابن القيم في زاد المعاد.

- أما رد السلام فإن تأكد من قوله (السلام عليكم) فيقول له (وعليكم السلام) فهذا من العدل.

حكم تشييع جنائزهم وتعزيتهم: الأصل عدم جواز التشييع وأجاز البعض التعزية بقصد الملاطفة والدعوة إلى الله.

الدرس التاسع

الشـــرك

١ التعريف:

- في اللغة يرجع لأصلين: الأول: المقارنة ومنه المخالطة والمشاركة والتسوية، والثاني: امتداد الشيء واستقامته ومنه الشَرَك (حبالة الصائد) ، فالشرك تسوية غير الله به، وهو حبالة الشيطان وشبكته يصيد به أهله ليدخلهم النار.
- واصطلاحاً : (أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية)[١] ،أو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .
- وقد قال تعالى : ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٢]، قال ابن عباس: الأنداد: الأشباه[٣]، وقال مجاهد: العدلاء[٤].

٢ أسبابه وآثاره:

الأسباب ، ومنها:

١ – الغلو في الأشخاص:قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ

---

(١) السعدى، تيس الكر الر ن تفس كلام ا نان ، ٤٩٩/٢.
(٢) [البقرة : ٢٢].
(٣) ذكره الط ى تفس ه ، ١٢٦/١.
(٤) ذكره الط ى تفس ه، ١٢٧/١.

يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾(١)، قال ابن عباس: أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت(٢)

٢- ومن ذلك تقديس الأحبار والرهبان : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٣).

٣- الهوى والشهوات: قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴾(٥).

٤- الكبر عن عبادة الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٦) ، وكما جاء في قصة فرعون ﴿ وَنَادَىٰ

---

(١)[نوح : ٢١ -٢٣].
(٢) رواه البخاري باب{ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق } معلقاً .
(٣) [التوبة :٣١].
(٤) [القصص : ٥٠].
(٥) [الفرقان : ٤٣].
(٦) [غافر : ٥٦].

فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١).

٥- دور الملأ والمستكبرين الذين يصدون عن سبيل الله: كما قال تعالى في قصة نوح: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢)، وفي قصة هود ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٣)، وفي قصة ثمود ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾(٤)، وفيهم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾(٦)

---

(١) [الزخرف: ٥١].
(٢) [الأعراف: ٦٠].
(٣) [الأعراف: ٦٦].
(٤) [الأعراف: ٧٥-٧٦].
(٥) [إبراهيم: ٢٨ - ٣٠].
(٦) [سبأ: ٣٢].

الآثار:

وإذا كنا قد ذكرنا من ثمار الإيمان بالله ما تحلو به الحياة في الدنيا والآخرة، فكذلك للشرك آثاره الوبيلة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، منها:

١- **إطفاء نور الفطرة حتى تصبح حالة معتمة مظلمة:** قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(١).

٢- **القضاء على عزة النفس وإبدالها بالزلة والمهانة:** قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

٣- **إحباط العمل:** كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٣).

٤- **ومن آثاره الخلود في النار:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾(٤).

---

(١) [النور: ٤٠].
(٢) [المنافقون: ٨].
(٣) [الزمر: ٦٥].
(٤) [النساء: ٥٦].

٣ أنواعه:

الشرك نوعان : أصغر وأكبر.

النوع الأول: الشرك الأصغر

وهو لا يخرج من الملة لكنه يُنقص من التوحيد وهو (جميع الأقوال والأفعال التي يتوصل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ مرتبة العبادة وكالحلف بغير الله، يسير الرياء ونحو ذلك)[١] وهو قسمان:

القسم الأول: الشرك الظاهر : وهو ألفاظ وأفعال:

فالألفاظ : كالحلف بغير ا ، قال رسول الله ﷺ : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢]. وقول ما شاء الله وشئت، فلما قال الرجل للرسول ﷺ : ما شاء الله وشئت، قال له : «أجعلتني لله نداً قل ما شاء الله وحده»[٣]. ومثل قول (قاضى القضاة) و(ملك الملوك) ومثل قول (لولا الكلب لدخل اللص) ، وقول (أمطرنا بنوء كذا)، ولعل ضابط ذلك كله (الاعتماد على سبب لم يجعله الشرع سبباً)[٤].

والأفعال: مثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين والتطير إذا اعتقد أنها أسباب فهذا شرك أصغر لأن الله لم يجعلها أسباب أما لو اعتقد فيها النفع أو الضر فهذا شرك أكبر،قال ﷺ : «إن

---

(١) السعدي، القول السديد مقاصد التوحيد، ص ١٥.

(٢) رواه أبو داود ح ٣٢٥١ ،والترمذي واللفظ له ح١٥٣٥ وقال:" حديث حسن " ، ٦٧/٢ ، وصححه ا اكم ووافقه الذه ،وصححه الألبا الصحيحة ٥ / ٦٩ وصحيح سنن الترمذي .

(٣) أخرجه البخاري ذا اللفظ "الأدب ا فرد " ح ٧٨٣ وابن ماجه ، والبيهقي ٣/ ٢١٧ وأ ـد ١/ ٢٨٣ ،والط ا " الكب " ١٣٠٠٥ وصححه الألبا الصحيحة ح١٣٩ و صحيح الأدب ا فرد.

(٤) ابن عثيم ، القول ا فيد على كتاب التوحيد، ٩٣/٢.

الرقي والتمائم والتولة شرك»[١].

- وفي السنة جواز بعض الرقي بشروط ثلاثة:

١- أن تكون من الكتاب والسنة مثل (اللهم رب الناس اذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما)[٢].

٢- أن يكون باللغة العربية، محفوظة ألفاظها، مفهومة معانيها.

٣- أن يعتقد أنها سبب لا تأثير لها إلا بإذن الله.

- **ومن ذلك الاستعانة بالمنجمين والعرافين وتصديقهم** (بشرط ألا يصحب ذلك اعتقاد علمهم بالغيب ،فذلك من الأكبر).

القسم الثاني: الشرك الخفي : وهو ما يكون في الإرادات والنيات – كالرياء والسمعة – قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٣].

- وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟،قال: «الرياء»[٤].

ومنه العمل للدنيا إما لقصد المال أو الجاه قال ﷺ : «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ح ٣٨٨٣،وابن ماجه ح٣٥٣٠،وأ د ٣٦١٥/١،قال الألبا الصحيحة ٦ /١١٦١ (أخرجه ا اكم ٤/ ٢١٧وقال :صحيح الإسناد .ووافقه الذه)، قال:(و هو كما قالا إن شاء ا تعا)

(٢) رواه البخاري ح ٥٤١١.

(٣) [الكهف : ١١٠].

(٤) أخرجه أ د ٤٢٨/٥واللفظ له والط ا ٤٣٠١والبيهقي الشعب٦٨٣١وصححه الألبا الصحيحة ح٩٥١.

(٥) رواه البخاري ح ٢٧٣٠ من حديث أ هريرة.

- وحكم الشرك الأصغر: أنه محرم بل هو من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام[١].

النوع الثاني: الشرك الأكبر

وهو أربعة أقسام وهو مخرج عن الملة:

القسم الأول: الشرك الاعتقادي:

- هو اعتقاد شريك مع الله بإثبات ما هو خاص بالله لغيره سواءً كان مناقضاً لوحدانية الله في ذاته أو أفعاله أو أسمائه وصفاته فهو ضربين:

الضرب الأول : المناقض لوحدانية الذات باعتقاد وجود أكثر من إله :

والقرآن أبطل هذا الشرك في آيات كثيرة منها ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٢]، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[٣].

الضرب الثاني: المناقض لوحدانية **الصفات والأفعال:** والقرآن أبطل هذا الشرك بنفي وجود السمي والمثيل والكفؤ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[٤]،﴿ لَيْسَ

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، ٥١٨/١.

(٢) [ا ؤمنون : ٩١].

(٣) [الإسراء : ٤٢].

(٤) [مر : ٦٥].

كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾(١).

- وبيان تفرده بربوبية العباد خلقاً وتدبيراً وملكاً ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(٢)، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾(٣)، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾(٤).

القسم الثاني: شرك الطلب:

- اتخاذ واسطة بين المخلوق والخالق وهو ضربين الأول يتعلق بالتدبير والتصريف، والثاني يتعلق بالتشفع إلى الله بتقريب طالب الشفاعة فهو شرك لأنه صرف للقلب عن قصده سبحانه والاستعانة به والتوكل عليه ورجاءه إلى غيره، فهذا الشرك ناقض لعمل القلب.

الضرب الأول: الشرك بسؤال غير ا ما لا يقدر عليه إلا ا : وحقيقته تعلق القلب بمخلوق والطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله لذا كانت التمائم والطيرة شركاً، وقول: مطرنا بنوء كذا (وإن كان الشرك هنا قد يكون شركاً أصغر، وقد يكون شركاً أكبر بحسب تعلق القلب بتلك الأسباب)، وكان الصحابة لا يسألون النبي ﷺ إلا ما يقدر عليه مع أنه مؤيد بالمعجزات لعلمهم أنها لا تنسب له بل هي مما أيده الله به، فكانوا يطلبون منه أن يدعو الله لهم،

(١) [الشورى : ١١].
(٢) [الزمر : ٦٢].
(٣) [القصص : ٦٨].
(٤) [فصلت : ٥٤].

فكان الرجل يسأل النبي ﷺ : «يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا»، فيرفع النبي ﷺ رأسه ويدعو لهم ولم يقل له (أنزل لنا المطر).فهذا الشرك فيه نسبة صفة من صفات الله لغيره مثل النفع والضر والرزق والإنجاب.

الضرب الثاني: شرك الشفاعة: وحقيقته طلب الشفاعة من غير الله على جهة أن المطلوب يملكها ويستحقها وفي هذا تنقصّ لإرادة الله وجعل إرادة المخلوق نافذة وحاكمة على إرادة الله قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[1]، ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾[2]، فهذا الشرك أصل اعتباره هو إيجاب الإجابة على الله وجعل المرجح في إجابة الدعاء هو إرادة الشافع فإذا لم يتحقق ذلك لم يكن شركاً بل كان بدعة ضلالة.

- ولا تظن – أخي في الله – أن الآيات السابقة تنفي وجود شفيع دون الله مطلقاً ولكن المقصود بها نفي ملكية الشفاعة بغير إذن الله، فالشفاعة لله ينعم بها على من يشاء من عباده فيإذن لهم بالشفاعة بشرطين ذكرهما الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾[3]، أي لا تنفع إلا بالرضى عن الشافع وعن الشفاعة نفسها، لذا لم يقبل سبحانه شفاعة الرسول ﷺ في بعض المنافقين فقال : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ

---

(١)[الزمر :٤٣-٤٤].

(٢) [الأنعام :٥١].

(٣) [طه : ١٠٩].

لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾(١)، مع رضاه سبحانه عن الشافع وهو الرسول ﷺ وذلك لعدم رضاه عن الشفاعة للمنافقين.

القسم الثالث: شرك التقرب والنسك:

وهو صرف أي عبادة مشروعة لغير الله سواء اعتقد أن هذا المعبود يستحقها لذاته أو لأنه وسيط شفيع وهو الذي كان عند مشركي العرب، فمع اعتقادهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر إلا أنهم كانوا يصرفون العبادة لغير الله.

القسم الرابع: شرك الطاعة والانقياد:

وحقيقته رفض الانقياد أو التزام طاعته واتخاذ طريق آخر مضاد للصراط للمستقيم الذي شرعه الله وأمر باتباعه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾(٢) روى عن ابن عباس في سبب نزولها أنه لما نزل شطرها الأول أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشير من ذهب – يعني الميتة – فهو حرام، فنزلت بقية الآية (٣). والمقصود أن العدول إلى غير شريعة الله إشراك.

---

(١) [التوبة : ٨٠].
(٢)[الأنعام : ١٢١].
(٣) أخرجه الط ي تفس ه ٣٢٥/٥، الط ا معجمه ١٦١٤،واللفظ بسند حسن.

الدرس العاشر

الكفر والنفاق

١ التعريف:

- في اللغة : التغطية والستر.
- واصطلاحاً:عدم الإيمان بالله ورسله سواء بتكذيب أو بغيره.

٢ أنواعه: نوعان: أصغر وأكبر.

النوع الأول : الكفر الأصغر

- وهو لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي وهو (كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على صاحبه) [١]، كفر النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢]، ومثل قتال المسلم لقوله ﷺ : «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٣]، وغيره.

النوع الثاني : الكفر الأكبر

وهو أربعة أنواع: التكذيب، الاستحلال، العناد، التولي والإعراض.

أ) كفر التكذيب: وهو تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الله وهو قليل في

(١) أعلام السنة ا نشورة ، مكتبة الرشد ، ص ١٧٦.
(٢) [النحل : ٨٣].
(٣) رواه البخاري ح ٤٨ ،ومسلم ح ٦٤ من حديث عبد ا بن مسعودﷺ.

الناس لأن الله أرسل رسله بالبينات وأعطاهم البراهين التي بها تقام الحجة وتزول المعذرة.

ب) **كفر الاستحلال**: وهو تحليل الحرام المجمع عليه أو تحريم الحلال المجمع عليه. والمقصود هنا: الأحكام المعلومة عند العامة فضلاً عن الخاصة، مثل وجوب الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وغيرهم ، فمن فعل المحارم المجمع عليها مستحلاً لها كفر وللاستحلال صورتان ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول.

الأولى: استحلال المحارم مع اعتقاد أن الله لم يحرمها وهو يؤدي إلى كفر التكذيب.

الثانية: استحلال المحارم مع اعتقاد أن الله حرمها، بأن يمتنع عن التزام التحريم والإيمان به، إما لخلل في التصديق بصفة من صفات الله أو لمجرد التمر وإتباع هوى النفس وكفر هذا أشد من الأول، لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر ويصدق بلك ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا التزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، وهذا كالعلمانية، أو (اللادينية) التي تكفر بمرجعية الشريعة وتراها رجعية وتخلف.

ج) **كفر العناد**: وهو يكون عن عناد الحق بعد تبين الحجة وظهورها للمعين قال تعالى :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا

(١) [النساء: ١١٥].

يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] ، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2].

د) كفر التولى والإعراض:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾[3] ومن ذلك مناقضة الالتزام الإجمالي بالشريعة الذي هو من أصل الدين،ومن ذلك كفر المنافقين الذين يلتزمون ظاهراً بالشريعة ويعرضون بقلوبهم عن قبول الشريعة والرضى بها

النفـــــاق

١ التعريف:

- في اللغة: أصل المادة اللغوية غير المعني الشرعي لها.
- فالنفق هو السَّرَبُ في الأرض النافذ إلى موضع آخر، والداخل فيه يستتر به وجمعه أنفاق والنَّافقاء، والنَّفقة جحر الضب واليربوع، يتخذ لنفسه في الأرض نفقاً ويجعل له مخرجاً أو أكثر ويجعل أحد هذين المخرجين نافذاً إلى السطح ومفتوحاً ويسميه العرب (قاصعاء)، والمخرج الآخر يكتمه بمقدار رقيق من التراب فإذا لحقه الطلب ضربه برأسه ضربة يسيرة فينهال التراب الرقيق ويخرج منه ويسميه العرب (نافقاء) ، ولعل تسمية المنافق في الشرع

---

(١) [التوبة: ١١٥].
(٢) [الأنعام : ١١٠].
(٣) [الأحقاف: ٣].

تشبيهاً له بما يفعله اليربوع في حيلته هذه[١].

- وفي الشرع: هو إظهار الإسلام باللسان وادعاء الإيمان كذباً مع إبطان الكفر.

(فالمنافق هو من خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً)[٢].

٢ **أنواعه:** النفاق نوعان: اعتقادي وعملي

النوع الأول: النفاق الاعتقادي: يقول شيخ الإسلام : (فإن أساس النفاق الذي يبني عليه هو الكذب ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق)[٣]، (وهو إضمار الكفر، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار وهو خارج عن الدين بالكلية)[٤]. وهو ستة أنواع:

١- تكذيب الرسول ﷺ.

٢- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣- بُغض الرسول ﷺ.

٤-بُغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦- الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني : النفاق العملي: وهو اختلاف السر والعلانية في الواجبات، وهو لا يخرج عن الملة ولكن ينقص الإيمان ويعض صاحبة لعقوبة الله عز وجل، وهو خمسة أنواع:والدليل قوله ﷺ : «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»[٥]، وفي حديث آخر «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»[٦].

---

(١) راجع ظاهرة النفاق للميدا ، ص ٥٢.

(٢) موع الفتاوى، ١٢٣/٢.

(٣) التحفة العراقية.

(٤) موع الفتاوى ، ٣٤٦/٢.

(٥) رواه البخاري ح ٣٣ ،،ومسلم ح٥٩ من حديث أ هريرة ﷺ.

(٦)رواه البخاري ح ٣٤ ، ومسلم ح ٥٨ واللفظ للبخاري من حديث عبد ا بن عمرو ﷺ .

الفهرس